

الأمن الاجتماعي في المنظور الإسلامي

بحث تقدم به :

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد العظيم أحمد عدوان

جامعة ديالى : كلية القانون والعلوم السياسية

مُتَلَمِّمَاتُ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ونسئلات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فإن الإسلام هو دين الهدى والنور، الذي لا سعادة للبشرية ولا أمن لها ولا سعادة، في الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدي بهداه، وتستضيء بنوره، مخلصاً في عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابعة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

فإن أي أمة من الأمم في أي بقعة من الأرض، وفي أي زمان من الأزمان، إذا دانت بهذا الدين، واعتصمت بحبل الله المتين، واتبعت رسوله الأمين، بصدق وعلم ويقين، بما أنزله الله في كتابه المبين، وسنة رسوله الرؤوف بأمته الرحيم - إن أي أمة من الأمم تتمسك بذلك، لا بد أن تكون أسعد الأمم، وأكثرها أمناً واستقراراً، تعيش في رغد من العيش، وتحيا حياة عز وسؤدد، تقود ولا تقاد، وتأمُر ولا تؤمَر، وتنهى ولا تُنهى، تحب الخير للناس كلهم، وتهديهم إليه بجد ونشاط، وتكره لهم ما تكره لنفسها من الشر، بعزم وقوة، ولو اقتضى ذلك منها أن تقدم من أجل تحقيقه، المال والولد والنفس، لأنها بذلك ترضي ربها الذي لا غاية لها في الحياة سوى رضا

وإن أي أمة من الأمم في أي بقعة من الأرض، وفي أي زمن من الأزمان، رفضت هذا الدين، وبعثت عن هديه، وحاربتته وحاربت الدعاء إليه، متبعة هواها، عاصية ربها، هاجرة كتابه، خارجة على هدي رسوله صلى الله عليه وسلم، إن أي أمة فعلت ذلك، لجديرة بأن تكون أكثر الأمم شقاء وخوفاً واضطراباً وضنكاً، في كل شأن من شؤون حياتها، حتى لو بدت في ظاهر أمرها غنية بالأموال، كثيرة بالرجال، قوية بالمرافق والصناعات الثقيلة، فإن السعادة لا يجلبها منصب ولا مال، والأمن لا يحصل بسلاح ولا رجال، والطمأنينة لا يأتي بها أي سبب من الأسباب المادية، إذا خلت من الإيمان وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد دل على ذلك - أي سعادة المهتدين بهدى الله، وشقاوة الرافضين لمنهج الله - الكتاب والسنة وواقع الأمم الذي سجله التاريخ في كل الأحقاب.

بعد هذه الرواية فقد وسمت هذا البحث بـ ((الأمن الاجتماعي في المنظور الإسلامي)) . بحثت فيه أبرز

القضايا التي تخص الموضوع وهي :

١/ تمهيد بينت فيه الأمة الإسلامية وما أكرمها البارئ عزوجل به موضحاً أثر الأمن في سيادتها .

٢/ تعريف الأمن اللغة والاصطلاح .

٣/ أقسام الأمن .

٤/ مفهوم الأمن في الإسلام .

٥/ العمل الصالح عامل رئيس للأمن الاجتماعي .

وأخيرا فهذا البحث هو معالجة لواقعنا المتعثر في بناء حياة صالحة سعيدة وفقا لما أراد الله منا في استخلاف الارض وعمارتها . وحاولت جاهدا في ايصال هذه الافكار .
ولابد من الاشارة أن مصادر هذا البحث أخذتها من شبكة الانترنت ومن المصادر المنزلة في ((أقراص الحاسوب)) .

تَهْيِئَاتُ

الأمة بين التكريم والسيادة

ومن الآيات الدالة على أن الأمة المهتدية بهدى الله، يكرمها الله تعالى بالسعادة والخير والبركات في الدنيا، فتحيا حياة الأمن والعيش الرغيد، قوله تعالى: ((ولو أن أهل القرى آمنوا وتقتوا لفتحنا عليهم بركات من السموات والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)) (١)

وإذا رأيت أمة من أمم الأرض محادة لله ورسوله، وقد أعقد الله عليها من رزقه من السماء والأرض، وظهرت بصفة المسيطر المتعالي، فاعلم أن ذلك ليس بركات عليهم ولا تكريما من الله لها، وإنما هو محنة واسترجاع لها، لتتال عقابها الأليم في نهاية المطاف، كما قال تعالى في الأمم التي كفرت بأنعم الله قبل بعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((ولقد أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك فأخذناهم باليأساء والضراء لعلمهم يتضرعون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة، فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)) (٢)

ومن أصرح الآيات وأجمعها لسعادة المهتدين بهدى الله وطيب حياتهم في الدنيا والآخرة، قوله تعالى: ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) (٣)

والحياة الطيبة ليست هي الحياة التي تتوافر فيها أنواع المتع المادية من مأكـ

(١) الأعراف: ٩٦

(٢) الأعمام: ٤٣-٤٥

(٣) النحل: ٩٧

ومشرب ومركب وملبس ومنكح، وصناعة وزراعة واختراعات فحسب، وإنما هي الحياة الآمنة التي تطمئن فيها القلوب، ويأمن فيها الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ينتشر فيها العدل، ويختفي فيها الظلم أو يقل، ويقود الناس فيها الأكفاء الصالحون إلى ما يرضي الله تعالى، ومتاع الدنيا المادي المباح جزء من الحياة الطيبة. (١)

ومن الآيات التي جمعت بين إثبات السعادة لمن اتبع هدى الله في الدنيا والآخرة، وإثبات الشقاء والضنك والخسران لمن بعد عن هدى الله وحاربه، قول الله عز وجل: ((قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا. ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)) (٢)

تأمل كيف نفى الله الضلال والشقاء عن اتبع هداه، وأثبت المعيشة النكدة الضيقة والضلال المبين -الذي عبر عنه بالعمى- لمن أعرض عن ذلك الهدى، وهو ذكر الله، ثم أكد تعالى شقاء من لم يهتد بهدى الله في الدنيا بالحياة الضنك، وفي الآخرة بالعذاب الأليم، دلالة السنة على ما دل عليه القرآن. وأما السنة فقد دلت على أن الله تعالى ينزل ألوانا من الشقاء، على الأمم التي تحارب منهج الله وتصد عن هداه: شقاء الجهل وشقاء انتهاك الأعراض، وشقاء ارتكاب ما يفسد العقول، (٣) وإذا فسدت العقول وانتهكت الأعراض، وفسا الجهل،

(١) طه: ١٢٣-١٢٤

(٢) طه: ١٢٧

(٣) أمّوا البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١/٣

فسدت الحياة كلها! وأي حياة تلك التي تحيا بها أمة هذا شأنها إلا حياة الضنك والضييق التي بينها القرآن؟
روى أنس رضي الله عنه، قال: "لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: (من أشرط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون
لخمسین امرأة القیم الواحد.) (١)

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (يتقارب الزمان، ويلقى الشح،
ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله، أيم هو؟ قال: (القتل القتل)

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بين يدي الساعة
لأيام ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل) (٢)
أي إن آخر الزمان يخالف أوله، بمعنى أن العصور الأولى كانت عصور نور وهدى، انتشر فيها العلم وثبت
العمل الصالح، وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، لأنهم كانوا ملتزمين بهدي الله، يتعلمون الكتاب
والسنة، ويعملون بما تعلموه منهما ويطبقون ذلك اعتقاداً وقولاً وعملاً. (٣)

ولهذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك القرون بحسب سبقها الزمني، لسبقها العملي، كما في
حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم قرني، ثم الذين
يلونهم، ثم الذين يلونهم). (٤) (٥)

قال عمران: "لا أدري أنكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنين أو ثلاثة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم
(إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا

(١) صحيح البخاري ٦٨/ ١

(٢) صحيح البخاري ٢٨/ ١

(٣) البخاري ٨٩/٨

(٤) البخاري ٨٩/٨

(٥) - الإسلام، سعيد حوا: ٥٦/ ١

يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السم) (١)

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال: (قرني، ثم الذين بلونهم، ثم الذين بلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته...) (٢) وسبب هذا التفضيل، تلك التركيبة التي زكى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالوحي الذي كان ينزل عليه، علماً وعملاً، وكذا تركيبة أصحابه بعده للتابعين، ثم تركيبة التابعين لأتباعهم...

كما قال تعالى: ((كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)) (٣)

وقال تعالى: ((هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)) (٤)

دلالة الواقع على شقاء من بعد عن هدى الله. (٥)

(١) البخاري ١٥١/٣، ١٨٩/٤

(٢) البخاري: ٢٢٤/٧

(٣) البقرة: ١٥١

(٤) الجمعة: ٢

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٦ / ٧

تعريف الأمن لغة واصطلاحاً :

قبل الدخول في حقيقة الأمن لابد من معرفة لفظة (الأمن) في لغة العرب وفي اصطلاح العلوم الاجتماعية .

فإن لفظة (الأمن) في اللغة : الفعل _ أمن

مصدره أمن - الأمان والأمانة بمعنى : وقد أمنت فأنا أمن ، وأمنت غيري من الأمان والأمان ضد الخوف ،
(١) وهو بذلك: "اطمئنان النفس وزوال الخوف ومنه الإيمان والأمانة ، المعنى الذي ورد في التنزيل العزيز بقوله تعالى : " وأمنهم من خوف " ، ومنه " أمانة نعاسا " و " إذ يغشيكم النعاس أمانة منه " ، نصب أمانة لأنه مفعول له كقولك فعلت ذلك حذر الشر ، " وهذا البلد الأمين " أي الأمن ، يعني مكة وهو من الأمن . وفي حديث نزول المسيح على نبيينا وعليه الصلاة والسلام : " وتقع الأمانة في الأرض " أي : الأمن : يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن فلا يخاف أحد من الناس والحيوان .(٢) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نزل على جبرائيل فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام : ويقول : اشتقتك للمؤمن اسما من أسمائي فسميته مؤمنا فالمؤمن مني وأنا منه " ، ولقد وصف حال المؤمن بهذا الوصف أنه : " معطى الأمان " من عذاب الدنيا والآخرة .

ومن مفهوم الأمن نخلص إلى أن بقاء ونماء الأفراد والمجتمعات والأمم قوامه الأمن الذي يقوم على الأمانة والعدل والتحرر من الخوف ، والأمانة لا تقتصر على أداء حقوق الآخرين من مال بل أداء ما علينا من التزامات بنزاهة وصدق وهو ما يتجلى في قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " ، وبالأمن صلاح الأمة ونهضتها.

المفهوم الاصطلاحي : على الرغم من الأهمية القصوى للأمن فإن استخدامه يعود إلى نهاية الحرب العالمية الثانية في الأدبيات الداعية إلى تحقيق الأمن وتجنب الحرب، والأمن من وجهة نظر دائرة المعارف البريطانية يعني : " حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية " ، لذلك فقد تألست وزارات الأمن القومي في معظم البلاد وقصر اهتمامها بحالة اللا أمن الناتجة عن التهديد العسكري، وعاش العالم مرحلة سباق التسلح بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل البيولوجية والكيميائية والذرية كجزء من سياسات الدول الكبرى لإظهار هيمنتها وقوتها ، وأغفلت المعاني الإنسانية للأمن وإن عبر عن ذلك بعض قادتها ، ومنهم " روبرت مكنمارا- وزير الدفاع الأمريكي الأسبق " في كتابه " جوهر الأمن " بتعريفه الأمن بأنه : " يعني التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونة " ، وأن " الأمن الحقيقي للدولة ينبع من معرفتها العميقة للمصادر التي تهدد مختلف قدراتها ومواجهتها لإعطاء الفرصة للتنمية تلك

١ - الفيروز آبادي ، القاموس المحيط الفيروز آبادي ص ١٩٩ .

٢ - لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد الأول ، القاهرة : دار الحديث ، ط ٢٠٠٣ ص ٢٣٢ .

التدورات تنمية حقيقية في المجالات كافة سواء في الحاضر أو المستقبل"، وهو ما قال به وزير الخارجية الأمريكي "أنوار ستانتينوس" الذي حدد هوية المكونين الجوهرين للأمن البشرى اللازم لتحقيق السلام في:

- 1- الجبهة الأمنية التي لا تكون إلا بالتححرر من الخوف .

- 2- الجبهة الاقتصادية والاجتماعية؛ حيث يعنى النصر التحرر من العوز. .

ولقد تطور هذا المصطلح ليشمل المفهوم العام للأمن الاجتماعي كل النواحي الحياتية التي تهم الإنسان المعاصر، بدءاً من شعوره بالافتقار المعيشي والاستقرار الاقتصادي إلى الاستقرار الشخصي في محيطه الأسري و بينته الخارجية. (٢)

أما علماء السياسة فقد عرفوا الأمن في الإطار الفكري تبعاً للنظرية التي يتم من خلالها النظر للمصطلح وهي ثلاث: النظرية الواقعية والنظرية الليبرالية والنظرية الثورية، وبحسب النظرية الواقعية فإن الدولة هي الفاعل الرئيس، وهي تتحرك وفق إدراكها للمحافظة على أمنها مما يقتضي الاستحواذ على القوة واستخدامها عند اللزوم، وبالتالي فإن الأمن المستهدف هو أمن الدولة الذي يحقق التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي للدولة. أما النظرية الليبرالية فهي ترفض فكرة أن الدولة هي الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية وأن أمنها لا يقتصر على البعد العسكري فحسب بل يتعداه إلى أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية. أما النظرية الثورية فتسعى إلى تغيير النظام وليس مجرد إصلاحه باعتبار ذلك وسيلة ضرورية للقضاء على الظلم. (٣)

ومما لا شك فيه أن للأمن مستويات متعددة؛ وهي تجمل في أربعة: أمن الفرد ضد كل ما قد يهدد حياته وممتلكاته أو أسرته، وأمن الوطن ضد أي أخطار خارجية أو داخلية، وأمن قطري "إقليمي" أو أمن جماعي لدول تتشارك المصالح وتعمل على التكتل لحماية كياناتها، والأمن الدولي الذي تتولى حمايته المنظمة الدولية للأمم المتحدة؛ إلا أن الأمن الكوكبي أفرز مستويين هما: الأمن دون الوطني، والأمن الذي تمارسه الدولة المهيمنة، وقد ساهم ذلك في تطور هذا المصطلح.

فقد ظهر مصطلح الأمن الإنساني في النصف الثاني من عقد التسعينيات كنتجاً للتحويلات التي شهدتها فترة ما بعد الحرب الباردة، وقد ركز على الفرد وليس الدولة كوحدة سياسية، وأكد على أن أية سياسة أمنية

3 - عليه فلن الأمن الاجتماعي يستلزم تأمين الخدمات الأساسية للإنسان، فلا يشعر بالعوز والفقر والمرض ويشمل الخدمات المدرسية والثقافية والرعاية الإنسانية والتأمينات الاجتماعية وعلى مواجهة الظروف الطارئة وقضاء وقت فراغ يحصل بينه وبين العزلة والانكماش .

4 - مصطفى علوى، النهضة، دورية تصدر عن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة؛ ٢٠٠٠ع ٥ ص ١٢٣-

يجب أن يكون الهدف منها تحقيق أمن الفرد بجانب أمن الدولة . ولقد أصبح هذا المفهوم ركنا في السياسات الخارجية ووظف كمبرر للتدخل الدبلوماسي والعسكري وكأداة صنع السياسة في العلاقات الخارجية. (٥)

وعرف أيضا الأمن الكوكبي الذي استهدف الانسجام مع ما شهده العصر من تقدم تكنولوجي هائل فأصبح للأمن مفهوم جديد يتجاوز الأمن الوطني والأمن الإقليمي وكان هدفه الجوهري متمحورا حول الاقتصاد العالمي باعتباره الركيزة الأساسية للأمن الكوكبي الذي اهتم بالثورة التكنولوجية في مجالات المعلومات والاتصالات، علاوة على اهتمامه بمشكلة الانفجار السكاني وقضايا البيئة ، وقدم رؤية جديدة لمفهوم الأمن الذي لا يواجه أعداء تقليديين " دولا وأشخاصا " ، بل يعمل على حشد مقوماته لمواجهة الأخطار التي تواجه البشرية جراء الأشياء أو الأحداث. (٦)

إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أحدثت انقلابا في جوهر الأمن الكوكبي الذي لم يعد مهتما بالفكر التي كان مقرا لها أن تلعب دورا في صنع العالم الحديث ، بل باستخدام القوة المسلحة التي اتخذت من مواجهة الإرهاب هدفا لها دون اعتبار لما يلحق حقوق الإنسان من انتهاكات ، ورسخ للأمن دون الوطني الذي يفسح المجال لتنظيمات سياسية أو قبلية أو طائفية من لعب دور في تقرير أمنها على حساب الأمن الوطني

كما اكتسب الأمن الإقليمي أبعادا جديدة فلم يعد ينصرف إلى مواجهة التهديد المشترك بل تجاوزه إلى إقامة ترتيبات وهيكل جديدة من أجل تحقيق التكامل والاندماج والتعاون في المجالات كافة خاصة " الاقتصادية والتنموية" وأبرز أنجح التكتلات الاتحاد الأوروبي الذي يعمل جاهدا من أجل التصدي لسلبات العولمة .

وترتب على ذلك تطور مفهوم الأمن لدى صانعي السياسات الدولية ، فأوروبا بعد الحرب الباردة أسست لما يعرف بالمشاركة الأورو - متوسطة باتفاق أعضاء الاتحاد الأوروبي المتوسطيين والشماليين على توسيع الاتحاد الأوروبي تجاه شرق أوروبا ، وتم التوصل بالإجماع حول التعامل مع التحديات الأمنية القادمة من الشرق والجنوب بهدف إعادة التوازن في توزيع الموارد المالية بينهم بما يتفق مع إدراكهم بأن القضايا الأمنية لا تقتصر فقط على الجانب العسكري بل هناك قضايا أمنية غير عسكرية مثل : البطالة وتزايد معدلات الهجرة غير الشرعية من جنوب المتوسط إلى شماله ، وظاهرة الأصولية الإسلامية. وتوالت المبادرات الأوروبية مثل: إعلان برشلونة الذي صاغ مشاركة شاملة تركز على ثلاثة محاور [السياسية - الأمنية / الاقتصادية - المالية / الاجتماعية - الثقافية الإسلامية] ، وإذا ما تأملنا الأهداف المرجوة من كل محور لكان ذلك كافيا لمواجهة الانعكاسات السلبية للعولمة.

٥ - موفق مضار ن مساعد الأمين العام لشؤون الأمن القومي العري في جامعة الدول العربية ، مؤتمر الأمن الإنساني في الدول العربية ، الأردن - عمان ٢٠٠٥ .

(٦) - ، ملاحظات حول مفهوم الأمن - - مصطفى علوي ص ١١٣ .

ورغم أن التحديات الأمنية التي عرفها الأوروبيون في المتوسط ضمننت جدول أعمال واشنطن إلا أنه يبقى لأمريكا منظورها الخاص الذي تحدده مصالحها القومية والوطنية رغم اعترافها النظري بأن ما يهدد الأمن يكمن في الفجوة بين الشمال الغني والجنوب الفقير، والبطالة المرتفعة والهجرة غير الشرعية، وأمن الطاقة والتهديد الذي يفرضه الإرهاب والحركات الإسلامية الراديكالية (٧).

أما الواقع التاريخي، فإن الذي يتتبع فيه حياة الأمم سيجد شاهد صدق على أن الأمة المهتدية بهدى الله، هي التي تحوز قصب السبق في العزة والتمكين والسعادة والطمأنينة في هذه الحياة، وأن الأمة الرافضة لهدى الله البعيدة عن اتباع منهجه، هي التي تمنى بحياة الذل والشقاء والاضطراب والخوف والقلق، مهما أوتيت من ثراء وقوة ومن ألوان المتع المادية، ومهما شيدت من قصور، ومدت من جسور، وشقت من طرق، وأعلنت من أهرامات، تجد فيها السادة المتجبرين، والعبيد الأذلاء المستضعفين، والظلمة الباطشين المستأثرين، والمظلومين المحرومين، لا ينصر فيها القوي - بالعدل - ضعيفا، ولا يدفع فيها القادر عن الخائف مخوفا، كما تجد فيها الفواحش المنكرة، والأمراض الفتاكة المنتشرة، وتجد فيها الجهل بأصول الإيمان وفروعه، وبذلك يعبد أفرادها وجماعاتها أهواءهم، ويعتكون على الناس فلا يردمهم عن عدوانهم إلا القوة الرادعة لهم. وهذا ما نشاهده في هذا القرن الذي نعيش فيه: القرن العشرين - المنصرم - الذي تطرب لذكره أسماع، وتخضع لعظمته قلوب، القرن الذي بنيت فيه ناطحات السحاب، وعُيِّنت فيه الطرق البرية الواسعات، حتى أصبح ساكن أقصى الأرض في الشرق، يسافر بسيارته إلى أقصاها في الغرب، وصنعت فيه الطائرات التي تقطع في ساعات ما بين المشرق والمغرب، وامتألت البحار المحيطات بالسفن الضخمة، المدنية والحربية والغواصات، وأصبحت بعض كواكب السماء، للمسافرين محطات، وقد وطئت أقدام الإنسان على وجه القمر الذي كانت تشبه به الغيد الجميلات!

وهكذا ما من شيء محسوس في هذا الكون إلا كان هدفا لتفكير المفكرين، ومحلا لبحث الباحثين، ليكتشفوا فوائده، ويفوضوا في أعماق أسرارها، ويخضعوه للاستفادة منه مدنيا وعسكريا (١). ولكن الحياة مع ذلك كله، لا زالت حياة شقاء ونكد، تنتشر فيها الفوضى الحسية والمعنوية، ويعم كثيرا من سكان الأرض الخوف والجوع والفقر والمرض، فلا تجد شعبا ولا دولة -صغرت أم كبرت- آمنة من اعتداء شعب ودولة أخرى، تعد للاعتداء عليها العدة، وتتربص بها الدوائر، ولا تجد شعبا ولا دولة يأمن فيها الناس من الظلم والجور والإجرام، بل إنك لتجد الجرائم تتصاعد كلما تقدم الناس في الاكتشافات العلمية والصناعات القوية، يدل على ذلك ارتفاع نسبة الإجرام والمجرمين في المحاكم والسجون والمعقلات - عدا من لم تضبطه أجهزة الشرطة ومن يسندها ممن يسمون بأجهزة الأمن - لا بل إنك لتجد الصالح (٢)

٧ - للمزيد انظر : ، الأمن والتعاون في المتوسط ، قراءات استراتيجية ، : أحمد مجدى السكري من ٧ ، ع ١٠ ، أكتوبر ٢٠٠٢ ، مركز

الدراسات السياسية والاستراتيجية من ٣ وما يليها .

(١) - البرمة والشرية، صمد أبو زهرة، دار الفكر العربي : ٢٤

(٢) - التهادي في سبل الله حقيقته وعاقبه، عبد الله قادري : ٧٩

المصلح الأمين، العالم المحب لأُمَّته الساعي إلى تحقيق مصالحها وسعادتها، هو
المجرم المكبل بالقيود المودع في المعتقلات، المصلت على رقبته سيف الموت من
قِبَل من آتاه الله القوة من المتكبرين الطغاة، الذين هم أولى بوصف المجرمين، وأحق بالسجون والمعتقلات
والنفي والقتل (١)

كما نجد من يموتون جوعاً، في كثير من المعمورة، وبجانبيهم من يموتون من الشيع والتخمة، وتجد العرايا
من الملابس والبساط والغطاء، لا يجدون ما يستر عورتهم، ولا ما يفترشونه تحت جنوبهم، و ما يتغطون به
من الحر والقر، وبجانبيهم من يؤثثون المنتزهات المؤقتة -بله المساكن الدائمة- بأجود أنواع الأثاث، وقد
امتألت خزائنهم بالملابس الغالية، واقتروشوا الزرابي والنامارق.

وتجد من يدعي مناصرة حقوق الإنسان والديمقراطية، وهو يفنك بالإنسان قتلاً وتشريداً، ويربي الكلاب
والقرد، ويقدم لها ما تشتهيها نفسها من مأكَل ومشرب وملبس ومسكن ورخاء، وتكبت أي صوت يرتفع
مطالباً بالعدل والمساواة، إذا لم يكن ذلك الصوت مؤيداً لمدعي مناصرة حقوق الإنسان والديمقراطية زورا
وبهتاناً. (٢)

إن هذا العصر الذي توجد فيه هذه الكوارث وغيرها، لمن أعظم شواهد الحق على أن الأمة التي تُبْعَد عن
منهج الله وهداه، خليفة بالشقاء والخوف والقلق والاضطراب والدمار، مهما أوتيت من متاع الدنيا الزائل،
وأن التربية الإسلامية على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هي التي تجلب للأمة السعادة،
وتجنبها من الويلات والضنك والمحن، وتبذلها بذلك الحياة الطيبة المستقرة.

(١) - - في خلال القرآن، سيد قطب إبراهيم : ٨٧ / ٦

(٢) - طريق المجرمين وباب السعادات، لابن قيم الجوزية : ٦٧ / ١